

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحجاب

الخطبة الأولى:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فيا عباد الله: لقد تعبد الله تعالى نساء المؤمنين بفرض الحجاب عليهن، الساتر لجميع أبدانهن وزينتهن، أمام الرجال الأجانب عنهن، تعبدًا يثاب على فعله ويُعاقب على تركه، ولهذا كان هتكه من الكبائر الموبقات، ويجرُّ إلى الوقوع في كبائر أخرى، مثل: تعمد إبداء شيء من البدن، وتعمد إبداء شيء من الزينة المكتسبة، والاختلاط، وفتنة الآخرين، إلى غير ذلك من آفات هتك الحجاب.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأُزَوِّجَكُ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

فعلَى نساء المؤمنين الاستجابة إلى الالتزام بما افترضه الله عليهن من الحجاب والستر والعفة والحياء طاعةً لله تعالى، وطاعةً لرسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

كيف ومن وراء افتراضه حكم وأسرار عظيمة، وفضائل محمودة، وغايات ومصالح كبيرة، منها: حفظ الأعراض: فالحجاب حراسة شرعية لحفظ الأعراض، ودفع أسباب الريبة والفتنة والفساد. الحجاب داعية إلى طهارة القلوب، وعمارتها بالتقوى، وتعظيم الحرمات، وصدق الله سبحانه إذ يقول: ﴿ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

الحجاب داعية إلى توفير مكارم الأخلاق من العفة والاحتشام والحياء والغيرة، والحجب لمساويها من التلوث بالشائعات كالتبذل والتهتك والسفالة والفساد. الحجاب علامة شرعية على الحرائر العفيفات في عفتهم وشرفهن، وبُعدهن عن الدنس والريبة والشك، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِينَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وصلاح الظاهر دليلٌ على صلاح الباطن، وإن العفاف تاج المرأة، وما رفرفت العفة على دارٍ إلا أكسبتها الهناء. ولما أنشد الشاعر النميري عند الحجاج قوله:

يُخْمَرْنَ أطرافَ البنانِ من التقي ... ويخرجنَ بالأسحارِ مُعْتَجِرَاتِ

قال الحجاج: "وهكذا المرأة الحرّة المسلمة.

الحجاب وقاية اجتماعية من الأذى، وأمراض القلوب، فيقطع الأطماع الفاجرة، ويكف الأعين الخائنة، ويدفع أذى الرجل في عرضه، وأذى المرأة في عرضها ومحارمها، ووقاية من رمي المحصنات بالفواحش، وقالة السوء وذنس الريبة وسوء الظن، وغيرها من الخطرات الشيطانية.

حور حرائر ما هممن بريية ... كظباء مكة صيدهن حرام

الحجاب من أعظم ما يثبت دعائم الأسر والمجتمعات، ويحميها من فساد البيوت وتقطع الأرحام، والشقاق والطلاق بسبب التفريط في هذا الواجب العظيم.

الحجاب حفظ للحياة؛ وهو مأخوذ من الحياة، فلا حياة بدونها، وهو خلق يودعه الله في النفوس التي أراد سبحانه تكريمها وإعزازها وتفضيلها، قال ﷺ: «الحياة لا يأتي إلا بخير» [أخرجه البخاري (٦١١٧)، ومسلم (٣٧) عن عمران بن حصين ﷺ]، وفي رواية: «الحياة خير كله» [أخرجه مسلم (٣٧) عن عمران بن حصين ﷺ].

فالحياة يبعث على الفضائل ويدفع الرذائل، وهو من خصائص الإنسانية وخصال الفطرة، وقبل ذلك وبعده هو خلق الإسلام، والحياة شعبة من شعب الإيمان، وهو من محمود خصال العرب التي أقرها الإسلام وهذبها وزكاها ودعا إليها، قال عنترة العبسي:

وأغض طرفي ما بدت لي جارتي *** حتى يوارى جارتي ماواها

إني امرؤ سمح الخليفة ماجد *** لا أتبع النفس اللجوج هواها

قال مفعول الحياء إلى التحلي بالفضائل، وإلى سجاج رادع، يصد النفس ويزجرها عن تطورها وتماديها في الرذائل والقبايح قال ﷺ: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت» [رواه البخاري (٣٤٨٤) عن أبي مسعود].

وما الحجاب إلا وسيلة فعالة لحفظ الحياء، وخلع الحجاب خلع للحياء. وما أعظم هذا القصص في سورة القصص في قصة ابنتي شيخ مدين: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، فقد جاء عن عمر ﷺ بسند صحيح أنه قال: "جاءت تمشي على استحياء فأنلة بثوبها على وجهها، ليست بسلفع من النساء ولاجة خراجة". والسلفع من النساء: الجريئة السليطة" [ذكره ابن كثير في تفسيره ٣/٣٨٤]. ففي القصة من الأدب والعفة والحياء، ما بلغ ابنة الشيخ مبلغاً عجباً في التحفظ والتحرز، إذ قالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]، فجعلت الدعوة على لسان الأب، ابتعاداً عن الريب والريبة، إنها نتاج تربية صالحة على الحجاب والعفة والحياء.

الحجاب يمنع عن مجتمعات أهل الإسلام آفات كثيرة من عادات الجاهلية وأهل الكفر والفسوق والنفاق، يمنع نفوذ التبرج والسفور والتعري والاختلاط إلى مجتمعات أهل الإسلام.

الحجاب حصانة ضد الزنا والإباحية، فلا تكون المرأة والفتاة إناء لكل والغ.

لَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «المرأة عورة، فإذا خرجت استشرفها الشيطان» [رواه الترمذي (١٧٣) وغيره، عن عبد الله بن مسعود ﷺ].
 والحجاب ساتر لها، وهذا من التقوى، قال الله تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا
 وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣٦]. قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ -رَحِمَهُ
 اللَّهُ-: فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: "يَتَّقِي اللَّهُ، فَيُؤَارِي عَوْرَتَهُ، فَذَٰلِكَ لِبَاسُ التَّقْوَىٰ" [تفسير ابن كثير (٤٠١/٣)]. وَفِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ:
 «اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي» [أخرجه ابن ماجه (٣٨٧١) وغيره، عن ابن عمر ﷺ].

الْحُجَابُ حَفْظٌ لِلْغَيْرَةِ، وَالْغَيْرَةُ هِيَ مَا رَكِبَهُ اللَّهُ فِي الْعَبْدِ مِنْ قُوَّةٍ رُوحِيَّةٍ تَحْمِي الْمَحَارِمَ وَالشَّرَفَ وَالْعَفَافَ مِنْ
 كُلِّ مُجْرِمٍ وَغَادِرٍ، وَالْغَيْرَةُ فِي الْإِسْلَامِ خُلِقَ مَحْمُودٌ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَغَارُ، وَإِنَّ الْمُؤْمِنَ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ اللَّهِ أَنْ
 يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُ مَا حَرَّمَ عَلَيْهِ» [متفق عليه من حديث أبي هريرة ﷺ]. وَقَالَ ﷺ فِي خُطْبَةِ الْكُوفِ: «يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ وَاللَّهِ مَا مِنْ أَحَدٍ
 أَغْيَرُ مِنَ اللَّهِ أَنْ يَزْنِيَ عَبْدُهُ أَوْ تَزْنِيَ أُمَّتُهُ» [متفق عليه من حديث عائشة -].

فَالْحُجَابُ بَاعَثَ عَظِيمٌ عَلَى تَنْمِيَةِ الْغَيْرَةِ عَلَى الْمَحَارِمِ أَنْ تُتَنَهَكَ أَوْ يُنَالُ مِنْهَا، وَبَاعَثَ عَلَى تَوَارُثِ هَذَا الْخُلُقِ
 الرَّفِيعِ فِي الْأُسْرِ وَالذَّرَارِيِّ، غَيْرَةُ النَّسَاءِ عَلَى أَعْرَاضِهِنَّ وَشَرَفِهِنَّ، وَغَيْرَةُ أَوْلِيَائِهِنَّ عَلَيْهِنَّ، وَغَيْرَةُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى
 حُرْمَاتِ الْمُجْتَمَعِ مَنْ أَنْ تُنَالَ أَوْ تُخَدَشَ بِمَا يَجْرَحُ كَرَامَتَهَا وَطَهَارَتَهَا.

ولهذا صار ضد الغيرة: الدياثة، وضد الغيور: الديوث؛ وهو الذي يُقْرُ في أهله، ولا غيرة له عليهم، ولذا سَدَّ
 الشَّرْعُ الْمُطَهَّرُ الْأَسْبَابَ الْمُوَصِّلَةَ إِلَى هَتِكِ الْحُجَابِ وَإِلَى الْدِيَاثَةِ، بِمَا حَدَهُ مِنْ حُدُودٍ، وَشَرَعَ مِنْ أَوْامِرٍ تَحْفَظُ سِيَاجَ الْعِفَّةِ
 وَالطَّهَارَةِ وَالنَّقَاءِ فِي مَجْتَمَعَاتِ أَهْلِ الْإِسْلَامِ.

وَإِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَعْرِفُوا فَضْلَ الْحُجَابِ وَسِتْرِ النَّسَاءِ، فَانظُرُوا إِلَى حَالِ الْمُتَحَجِّبَاتِ، مَاذَا يُحِيطُ بِهِنَّ مِنَ الْحَيَاءِ،
 وَالْبَعْدِ عَنْ مَزَاحِمَةِ الرِّجَالِ، وَالتَّصَوُّنِ النَّامِ عَنِ الْوُقُوعِ فِي الرَّدَائِلِ، أَوْ أَنْ تَمْتَدَّ إِلَيْهِنَّ النَّظَرَاتُ الْفَاجِرَةُ! وَانظُرُوا إِلَى
 حَالِ أَوْلِيَائِهِنَّ مَاذَا لَدَيْهِنَّ مِنْ شَرَفِ النَّفْسِ وَالْعِزَّةِ وَالْكَرَامَةِ، وَالْحِرَاسَةِ لِهَذِهِ الْفَضَائِلِ وَالْمَحَارِمِ؟
 وَقَارِنُوا هَذَا -بَارِكَ اللَّهُ فِيكُمْ- بِحَالِ الْمُنْتَبِجَةِ السَّافِرَةِ وَقَدْ تَسَاقَطَتْ مِنْهَا هَذِهِ الْفَضَائِلُ بِقَدْرِ مَا لَدَيْهَا مِنْ سُفُورٍ
 وَتَهْتِكٍ، وَتَجَدُّ وَلِيهَا لَا تَتَحَرَّكُ مِنْهُ شَعْرَةٌ؛ لِمَوْتِ غَيْرَتِهِ أَوْ الْعَذَابِ النَّفْسِيِّ بِسَبَبِ عَدَمِ قُدْرَتِهِ، وَسُقُوطِ قِوَامَتِهِ عَلَى
 مَوْلِيَاتِهِ، نَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ مَوْتِ الْغَيْرَةِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء: ٣٤] فَضَائِلٌ كَثِيرَةٌ، وَمَكَارِمٌ
 عَظِيمَةٌ لِهَذِهِ الْفَرِيضَةِ الْجَلِيلَةِ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ نِسَاءَ وَبَنَاتِ الْمُسْلِمِينَ، واجعلهنَّ صَالِحَاتٍ هَادِيَاتٍ مَهْدِيَّاتٍ، وَبِأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَالصَّحَابِيَّاتِ
 مُقْتَدِيَّاتٍ.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم
 بإحسان إلى يوم الدين.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا مَعَاشِرَ الْأَبَاءِ وَالْأَزْوَاجِ اتَّقُوا اللَّهَ فِي أَهْلِيكُمْ وَعَلِّمُوهُمْ هَذَا الشَّرْعَ الْمُطَهَّرَ، عَلِّمُوهُمْ سُورَةَ النُّورِ
 وَالنِّسَاءِ وَالتَّحْرِيمِ، رَبُّوهُمْ وَدَرِّبُوهُمْ عَلَى سِيرَةِ عَائِشَةَ وَحَفْصَةَ وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَالصَّحَابِيَّاتِ الْجَلِيلَاتِ، قَالَ تَعَالَى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غُلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦]، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَدَّبُوهُمْ، وَعَلَّمُوهُمْ" [تفسير ابن كثير (١٦٧/٨)].

وَأَجِبْ عَلَى الْمَرِيضِ وَالْمُرِيَّاتِ غَرَسَ الْحَيَاءِ، وَالتَّرْبِيَةِ الْقَائِمَةِ عَلَى هَدْيِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَقِيمِ الْمُجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ الْمُحَافِظِ، فَالْجَمِيعِ عَلَيْهِ كِفْلُهُ مِنْ هَذَا الْوَجِبِ الْعَظِيمِ.

هَذَا؛ وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى الرَّحْمَةِ الْمُهَدَاةِ، وَالنِّعْمَةِ الْمُسَدَاةِ: نَبِيِّكُمْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ بِذَلِكَ رَبُّكُمْ فِي مُحْكَمِ تَرْبِيَتِهِ، فَقَالَ -عَزَّ شَأْنُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ الْحَبِيبِ الْمُصْطَفَى، وَالنَّبِيِّ الْمُجْتَبَى، وَعَلَى آلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَعَلَى أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنِ الْخُلَفَاءِ الْأَرْبَعَةِ الرَّاشِدِينَ، الْأَنْمَةِ الْخُلَفَاءِ الْمُهْدِيِّينَ: أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعِثْمَانَ، وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَعَنَّا مَعَهُمْ بِعَفْوِكَ وَجُودِكَ وَإِحْسَانِكَ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَنْصُرَ الْمُسْلِمِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اللَّهُمَّ انصُرْهُمْ عَلَى مَنْ نَاوَاهُمْ وَعَادَاهُمْ.

اللَّهُمَّ اهْزِمِ الْكُفَّارَ، وَأَنْزِلْ بِهِمْ بَأْسَكَ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ.

اللَّهُمَّ رُدِّ كَيْدَ الرَّوَافِضِ فِي نُحُورِهِمْ، وَخَلِّصْ بِلَادَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّهِمْ وَفِتْنَتِهِمْ، وَاضْرِبْ عَلَيْهِمْ ذُلًّا وَهَوَانًا مِنْ

عِنْدِكَ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ لِبِلَادِنَا أَمْنَهَا وَإِيمَانَهَا وَعَقِيدَتَهَا وَاسْتِقْرَارَهَا، وَرُدِّ كَيْدَ الْكَائِدِينَ فِي نُحُورِهِمْ، وَاقْضِ عَلَى أَهْلِ الْفِتْنَةِ وَالْفَسَادِ وَالزَّيْغِ وَالْعِنَادِ.

اللَّهُمَّ انصُرْ جُنُودَنَا الْمُرَابِطِينَ فِي الْحُدُودِ، اللَّهُمَّ انصُرْهُمْ بِنَصْرِكَ، وَأَيِّدْهُمْ بِتَأْيِيدِكَ، اللَّهُمَّ وَاخْلُفْهُمْ فِي أَهْلِهِمْ بِخَيْرٍ.

اللَّهُمَّ وَفِّقْ وَلِيَّ أَمْرِنَا بِتَوْفِيقِكَ، وَأَيِّدْهُ بِتَأْيِيدِكَ، اللَّهُمَّ وَفِّقْهُ لِهُدَاكَ، وَاجْعَلْ عَمَلَهُ فِي رِضَاكَ، وَاجْزِهِ اللَّهُمَّ عَنِ

الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ خَيْرَ الْجَزَاءِ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى، وَبِنَهْيِ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ، يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَذَكَّرُونَ؛ فَاذْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.

أَعَدَّهَا

د. سعيد بن سعد آل حماد

www.alhmmad.net

٢٦/١١/١٤٤١هـ